

روح المعاني

المنهمكة فى الغى والفساد من الأحكام الحق والشرائع عصوه وعادوه واعترض رحمة الله تعالى على ماذهب اليه الجمهور من القول بالوصفية بأنه لايساعده المقام لأن الجملة الخبرية إذا جعلت صفة أو صلة ينسخ ما فيها من الحكم ويجعل عنوانا للموصوف وتنمى له ولذا وجب أن تكون معلومة الانتساب له ومن قالوا : إن الصفات قبل العلم بها إخبار والاخبار بعد العلم بها أوصاف ولاريب فى أن ماسيق له النظم إنما هو بيان أنهم جعلوا كل من جاءهم من الرسل عرضة للقتل والتكذيب حسبما يفيد جعلها يفيد جعلها استئنافا على أبلغ وجه وآكده لبيان أنه أرسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة انتهى . وتعقبه الشهاب بأنه تخيل لاطائل تحته فان قوله سبحانه : ولقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل الخ مسوق لبيان جناياتهم والنعى عليهم بذلك كما اعترف به المعترض وهو لايفيده إلا بالنظر إلى الصفة التى هى مرمى النظر كما فى سائر القيود وأما كونها معلومة فلا ضير فيه فانك إذا وبخت شخصا وقلت له : فعلت كيت وكيت وهو أعلم بما فعل لا يضر ذلك فى تقريره وتعديره بل هو أقوى كما لا يخفى على الخبير بأساليب الكلام فلا تلتفت إلى مثل هذه الأوهام انتهى ولا يخفى ما فى قوله وهو لايفيده إلا بالنظر إلى الصفة الخ من المنع الظاهر وكذا جعل مانحن فيه نظير قولك لشخص تريد توبيخه فعلت كيت وكيت وهو أعلم بما فعل فيه خفاء والذى يحكم به الانصاف بعد التأمل جواز الأمرين وأن ماذهب اليه شيخ الاسلام أولى فتأمل وانصف . والتعبير بيقتلون مع أن الظاهر قتلوا ككذبوا لأستحضار الحال الماضية من أسلافهم للتعجب منها ولم يقصد ذلك فى التكذيب لمزيد الاهتمام بالقتل وفى ذلك أيضا رعاية الفواصل وعلل بعضهم التعبير بصيغة المضارع فيه بالتنبيه على أن ذلك ديدنهم المستمر فهم بعد يحومون حول قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتصر البعض على قصد حكاية الحال لقرينة ضمائر الغيبة وتقديم فريقا فى الوضعين للاهتمام وتشويق السامع إلى ما فعلوا به لا للقصر وحسبوا ألا تكون فتنة أى ظن بنو إسرائيل أن لا يصيبهم من الله تعالى بما فعلوا بلاء وعذاب لزعمهم كما قال الزجاج أنهم أبناء الله تعالى وأحباؤه أو لامهال الله تعالى لهم أو لنحو ذلك وعن مقاتل تفسير الفتنة بالشدة والقحط والأولى حملها على العموم وعلى التقديرين ليس المراد منها المعروف .

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب أن لا تكون بالرفع على أن أن هى المخففة من الثقيلة وأصله أنه لا تكون فخفف أن وحذف ضمير الشأن وهو اسمها وتعليق فعل الحسان بها وهى للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال قوته و أن بما حيزها ساد مسد مفعوليه وقيل :

إن حسب هنا بمعنى علم و أن لاتخفف إلابعد ما يفيد اليقين وقيل : إن المفعول الثانى محذوف
أى وحسبوا عدم الفتنة كائنا ونقل ذلك عن الأخفش و تكون على كل تقدير تامة وقوله تعالى :
فعموا عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها أى أمنوا بأس الله
تعالى فتمادوا فى فنون الغى والفساد وعموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل إلى معالمه
وبينوا لهم مناهجه وصموا عن استماع الحق الذى ألقوه اليهم وهذا إشارة إلى المرة الأولى
من مرتى إفساد بنى إسرائيل حين خالفوا أحكام التوراة وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وقيل
أرميا عليهما السلام ثم تاب الله عليهم حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه